



قال محدثي: لقد خسرت هيئة فتح الشام المناطق التي حررتها في حماة. قلت: وما الغريب؟ هل كنت تتوقع غير ذلك؟ ومن أين يأتيك التفاؤل وسجل جبهة النصرة مليء بالإخفاقات والمغامرات الفاشلة؟

قال: كيف تقول هذا عن أقوى وأهم فصيل في الثورة؟ قلت: أدرك نفسك يا صاحبي، لقد خدعوك كما خدعوا غيرك كثرين. إنه أسلوب غوبنل المشهور: اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس! نعم، ما زالوا يروجون هذا الوهم الكاذب (أكبر وأقوى فصيل في الثورة) حتى صدقوا أنفسهم وصدقهم كثيرون. ولو لا طائفة من "المستقلين" الذين ما فتئوا يلمّعون النصرة ولو لا بعض الفضائيات التي تعمدت تصديرها في نشرات الأخبار لما فاقت سمعة النصرة سمعة أي فصيل ثوري من الفصائل الكبار، ولكنه الإعلام يا صاحبي، الإعلام!

قال: لماذا تخذل وتقلل من قيمة جبهة النصرة؟ قلت: ما هذا أردت، بل أردت أن يعلم الناس الحقيقة حتى لا يطالبوا الثورة باحتمال غُرم النصرة مقابل غُنمها المزعوم. أردت أن يعلموا أنها لا مغافنَّة تأتينا منها تستحق كل هذا التطبيل والتهويل، وأن مغارتها تفوق مغارتها بكثير. وإلا فخَبَرْني: ما هو النصر العظيم الذي حققه النصرة في أي يوم قط؟ هذه خريطة سوريا أمامك، أرني المناطق التي حررتها جبهة النصرة بمفردها، ما هي؟ وأركز على كلمة "بمفردها" لأن النصرة كانت دائمًا (وما تزال) عقيرية في استغلال دماء وتضحيات الفصائل الأخرى ونسبة النصر إليها. ألا تذكر عبر نصيبي؟ إنها قصة تكررت في الثورة على الدوام.

نعم، إن تاريخ جبهة النصرة هو سلسلة من الإخفاقات والمعارك الفاشلة، فهي التي سلمت دير الزور لداعش وسلمت القلمون الغربي للنظام وأهدرت دماء شبابنا في معارك حمقاء لم تثمر شيئاً، في مغامرات حماة الأولى والثانية وفي معارك حلب والساحل. آلاف الأرواح قدمت مجاناً لأن مغامراً أحمق وضع نفسه في موضع القيادة وهو أقل الناس جدارة بها، وأنه "الأحمق المطاع" فقد تبعه أولياؤه بلا سؤال ولا تفكير فقادهم إلى المهالك.

فكّر جيداً وسوف تكتشف هذه الحقيقة المؤلمة: إن المعارك الوحيدة التي انتصر فيها الجولاني هي غزواته على فصائل الجيش الحر، فقد نجح فيما فشل فيه النظام واستطاع تفكيك عشرين فصيلاً وتهجير آلاف المجاهدين خارج الحدود. يا له من إنجاز عسكري عظيم!

لو كان الأمر إلى لحاكمت الجولاني محكمة عسكرية بسبب هذه الخسائر والإخفاقات والمعارك والاعتداءات، ولئن أنقذه شبيحته ومریدوه من سؤالنا في هذه الدنيا فمن ينجيه يوم القيمة من سؤال العزيز الجبار؟

* * *

الخلاصة: إن جبهة النصرة (باسمها القديم أو باسمها الجديد) فضيل من حجم وزن سائر الفصائل الكبرى في سوريا، ليس أكثر، وإذا استثنينا قادتها الخونة (وعلى رأسهم الجولاني المجرم الذي أنهك الثورة وقاتل الفصائل واعتقل الأبرياء، عليه من الله ما يستحق) فإذا استثنينا هؤلاء سنجد في صفوتها كثيراً من المجاهدين المخلصين الصادقين كما نجد في كل فضيل آخر.

بهذا المقياس فإننا نتحمل من النصرة ما نتحمله من سائر الفصائل من تقصير وأخطاء مقابل ما تقدمه للثورة من تقدّمات وتضحيات، لكننا لا نتحمل أبداً ما يصدر عن النصرة من بغي وظلم وإفساد ولا نتحمل غُرم ارتباطها الفكري والمنهجي بالقاعدة (وما كملة "سفيه الأمة" الأخيرة إلا دليل على أن هذا الارتباط كان وما يزال). إن مطالبتنا بأن نتحمل ذلك كله من النصرة وهي لا تقدم للثورة أكثر مما يقدمه أي فضيل آخر في الميدان أمر لا يرضاه عاقل، ولا يمكن أن يقترحه شخص يريد الخير لسوريا والسوريين.

من قناة الكاتب على تلغرام

المصادر: